شـــهر زاد

رواية للاستاذ توفيق الحكيم

كلمة تحليلية بقلم : عبد الرحمن صدقى

هى تحفة فنية أخرى للاستاذ الحكيم . وهى أدق فى ذوقها الفنى وأرق ، وهى أرهف فى الحس وألطف ، وجـــوها الشرقى أمتع منظراً وأوقع سحراً ، وروحها الصوفى أعرق تأصلا وأعمق سراً .

ونحن نعرف الأميرة شهر زاد ، تتمثل فيها عبقرية القصص وروح السمر ، وتتمثلها بأحاديثها المشوقة المتنوعة الألوان ، وحكاياتها الممتعة التى لا ينضب لها معين ، بين يدى الملك الآسيوى شهريار وقد تحجر قلبه وغلظ طبعه ، تنتقل به ليلة بعد ليلة مأخوذاً مدهوشا من قطر الى قطر فى أجواء شتى وآفاق سحيقة ، من أنحاء فارس ، الى بلاد الصين أو الهند العجيبة ، إلى وادى مصر الخصيب ، بين أجناس البشر المختلفة الألوان ، وبين طبقات المجتمع ونماذج الافراد على تفاوت الطبائع والدرجات ، من ملوك ومماليك ، وسراة وصعاليك ، وتجار وحمالين ، وصاغة وصيادين ، ومقامير يحبون القمار ويركبون أهوال البحار ، وفوق ذلك بين عناصر طبيعية وغير طبيعية ، أنسية وجنية .. رحلة كقصيدة « الأوديسة » شائقة طويلة ، طافها الملك شهريار وهو فى المقصورة مضطجع يصغى الى شهر زاد فى كل مساء فى ألف ليلة وليلة .

هـذه الرحلة المعهودة للملك شهريار ، لم يعرض لها مؤلفنا العصرى . وإنما خلص منها الى رحلة باطنة للرجل شهريار ، هى رحلة نفس تحركت فجازت أطواراً بعد أطوار

فلقد كان شهريار عبد الجسد يبنى كل ليلة بعذراء يستمتع بها وفى الصباح يقتلها ، وكذلك كان ليلة استقبل شهر زاد يشتهى منها المتعة بالجسد الغض . حتى اذا سمعها تحدثه حديثها الساحر الممتع وتفتح له خزائن القصص والخيال والشعر ، تفتحت مغاليق قلبه الموصد وتحرك جامده وارتجفت نياطه ، فاذا هو يحبها وإذا بهذا الجسد الى الشهوان يحبها حب القلب والوجدان . غير أن نار العاطفة بدورها لم تلبث مشبوبة طويلا حتى تصفت الى نور هادىء شاجب ، فاذا هو لا يأمن للشعور بل ينشد المعرفة ، واذا به لا يريد لوقفة عند الظواهر والاعراض ، بل الغوص الى الجوهر ولب اللباب ، ولا يريد الاحتباس فى الحدود الضيقة بل الانطلاق ، الى حيث لا حدود ، فهو فكر محض يحلو له التأمل النظرى والتجريد الفلسفى .

وهذه الأطوار النفسية الثلاثة التى اتفقت لشهريار على آناء متفرقة ، يجلوها أيضا المؤلف على مسرح قصته فى آن واحد موزعة على شخوص ثلاثة : فهذا العبد أسود اللون وضيع الأصل قبيح الصورة رمز للشهوة الحيوانية ، تلقاه شهر زاد فى حلك الظلام ، وتلزمه ألا يطرقها إلا خفية مع الليل ، وتستكره معه العلن وتحذره من أن يدركه الصباح فيقتل . وهذا الوزير الفتى ، مثال الجمال فى الخلقة والخلق ، يحب شهر زاد كما يحب رجل جميل امرأة جميلة ، فهى معبودته لا عشيقته ، وقد بلغ التسامى بعواطفه منتهاه فلم يعد غير قلب شاعر . وهذا الملك وقد أفادته حكايات شهر زاد خبرة ، وكشفت لبصيرته عن أفق للتأمل بلا حد ، ونقلته كالطفل من طور اللعب بالأشياء أو التعبد لها الى طور التفكير فيها ، فهو اليوم فكر شارد أبداً ينقب عن الكنه ويطلب المجهول :

أما شهر زاد فهى كالطبيعة لا رفيع عندها ولا وضيع ، وهى كالطبيعة تتراءى لهؤلاء الثلاثة فيرى كل فيها مرآة نفسه . فهى عند العبد حس مادى ولذة مشبعة ، وهى عند الوزير مثال أعلى للجمال قلبا وقالبا ، وهى عند الملك سر عميق ينطوى على نواميس خالدة تجرى على مقتضاها حركات الحياة وسكناتها ويتحدى لغزها المعرفة .

ومن عجائب الاتفاق أن هذه المعانى التى اقتضت القصة الرمزية اجتماعها فى شهر زاد ، لها ســـندها المدعم فى الحكاية الأصلية : فشهر زاد الى كونها مثل غيرها من بنات حواء تخضع لمطالب المرأة الجسدية . فانها ابنة وزير ، كريمة المحتد ، كما يدل اسمها نفسه فى الفارسية ، وقد شاء لها طيب أرومتها أن تتقدم طواعية ليتزوج منها الملك الغشوم قاتل زوجاته ، وأن تجعل مختارة جيدها الغض عرضة لسيف جـــلاده ، مفادية بحياتها على ضعف الأمل انقاذاً للعذارى من هـذا الحيف الراصد لهن . ثم هى لا محالة بطبيعة التربية فى القصور ذات ثقافة عالية ، وحذق لفنون الأدب والشعر ، وعلم بالتواريخ ومضارب الأمثال والعبر . فليس هنالك تجوز معتسف فى تصويرها جامعة للجسد المنعم النضير والقلب الفياض بالشعور والفكر الواعى المحكم بالتدبير .

ولقد احتاط المؤلف لرموزه هذه من أن تظهر مجرد رموز متحركة تشخص لما وضعت له فى خطى آلية وعزيمة صماء حديدية .

فأضفى عليها مخايل الأحياء من تردد وتشكك ، ونوبات ضعف وانتكاس ، لما هو مركب فى الطبيعة البشرية من العوامل المتضاربة ، والدواعى المتداخلة ، بحيث اذا صحت الغلبة لأحداها فان المغلوبة لا تعدم ، بل لها فى النفس بين الفينة والفينة تخبط المقيد ، وانتفاض المضغوط عليه . فترى الوزير وإن كان فى حبه للملكة شهر زاد عذريا طاهراً يحفظ لصديقه الملك غيبته ، ويرعى حرمته ، ويذكر مودته ، فانه ليضطرب أشد الاضطراب عند خلوتها به ، كما يسوؤه أن تعطف على صديقه وزوجها أيسر العطف ويتجرع المرارة من غيرته الخفية . كذلك ترى شهريار وقد باشرت الحسيات حواسه حتى ملء جوارحها ، وتشبعت بالعواطف مشاعره حتى لفظها وبجها ، وتعالى عن كل ما هو حس وشعور ، يعود فى فترة يأس من المعرفة الى شهر زاد ، يسكر عطشه من كأس ثغرها اللؤلؤى ، ويستظل من رمضائه بعناقيد غدائرها المتهدلة ، ويوسد رأسه المتصدع حجرها ، ويريدها على أن تنشده شعراً ، أو تغنيه أغنية ، أو تقص عليه قصة .

وما تبدلت الرموز غيرها من أجل هذا ، وانما هى عوارض من أمارات الضعف البشرى ، ثم تستأنف هذه الرموز البشرية سيرتها المرسومة ، ودورتها المقدورة فى اتقان وروعة

ولقد اختار مؤلفنا للقصة بداية ليس أصلح منها مدخلا للرواية من حيث تهيئة الجو والدلالة على المعنى . فثمت طريق قفر والليل حالك ، والى ناحية منزل منفرد على بابه مصباح مضيء . وفى هذا الموقف يقفك المؤلف على سحر الساحر ، وضعف الجسد ، وسطوة الشهوة باللمسات الاولى من ريشته :

ـ الساحر (يقود جارية الى المنزل) : ماذا يقول لك هذا الغريب الأسود ؟

ـ الجارية : يسألنى عن سر فرح المدينة ، فأجبته هو عيد تقيمه العذارى للملكة شهرزاد

ـ الساحر : وما لفراتصك ترتعد ؟

ـ الجارية (همسا) : لست أدرى !

ـ الساحر : ألم أحذرك أن تقربى هذا العبد الهرم ، فان فى عينيه نظرات الفجرة ؟

ـ الجارية (همسا) . ليس هرماً

ـ الساحر : بم تهمسين كمن به مس ؟ هاتى يدك ولندخل . لعلك ارتعت من قبح هذا الرجل ؟

ـ الجارية (همسا) : ليس قبيحا .

(يدخلان المنزل . يظهر العبد يتبع نظراته الجارية . . .)

ـ العبد : ما أجمل هذه العذراء . اوما أصلح جسدها مأوى !

ـ صوت (من خلفه) : ماوى ؟ أللشيطان ؟ أم للسيف ؟

ـ العبد (يلتفت) : أهذا أنت ؟

ـ الجلاد (يظهر) : عرفتنى .

ثم لا يطول بك الانتظار فى هذا الموقف بسمع من همس هذه الكلمات المتقطعة المتبادلة حتى تعلم كل ماطرأ على حياة شهريار الذى كنت تعرفه ، من تغير بعيد الأثر ، وما يحيط به اليوم من ملابسات وظروف ، وحتى تتسلم بين أصابعك أطراف خيوط القصة جميعها ، وتتابع فى لذة مشوقة حركات نسجها سداة ولحمة .

وترى كيف يعارض حائك القصة بين شهرزاد وقلب الوزير المتأجج فى منظر ، وبينها وبين عقل الملك السائح فى زوقة أحلامه الصافية فى منظر ، ثم بينها وبين العبد الأسود فى منظر . وهو فى خلال هذه المناظر وما بينها يداول بين هذه الخيوط المختلفة الأصباغ فيخرج لنا منها نسيجا خسروانى الوشى ، ساحر الالوان كقوس الغمام . حتى اذا أزف الختام أبى المؤلف ، الحكيم ، على العبد قتله استرخاصا له وكرامة للنية أن تكفر عن خسته ، بل ادخر المصرع الفاجع للوزير الذى ضاق الواقع عن قلبه الكبير . أما شهريار فقد ذهب فى سفر بعيد مجهول

ولئن كان المؤلف قد نحا نحو الرمزيين فى قصته ، إلا أنه لم يصنع منها لغزاً مغلقا . ولا شبه مغلق ، ولا هان عليه أن يترك رموزها على قرب منالها وقلة تعويصها ـ للقراء وبخاصة الذين ألفوا نحوها فى التآليف الغربية ليستنبطوها استنباطاً ، بل آثر ان ينص على تفسيرها نصا فى ظاهر سطوره أثناء الحوار ، فلا يدع لأحد دون فهمها على وجهها حجة .

وقد اصطنع صاحبنا مايصطنعه أهل مذهبه من أساليب العرض والكتابة . فشخوصه معروفة النظائر فى الواقع ، ولكنها تبدو لعياننا من مادة أشف من مادتنا ، وتروح وتجىء فى جو أخف مما نعيش فيه . فكأنما هى من عالم الاحلام نحسها بالحس الباطن ، وكأنها لاتتحرك بمحرك فيها من ارادتها بل تحركها قوة مستعلية عليها خارجة عنها ؛ فهى مسوقة من حيث لا تدرى الى حيث لا تدرى ولا طاقة لها على التوقف والمغالبة . ثم هنالك السحر والكهانة ، والفلتات المنبئة ، وأحاسيس النفس السابقة المؤذنة بوقائع غامضة لاحقة . وهذه جميعا مفرغة فى سياق شعرى يتمشى

فيه النغم ، وتنتظم الموسيقى نسقه من مبدئه الى منتهاه ، ويعتمد على الاشارة المقتضبة والتلميس ويتجنب البسط والتقرير ، وتتكرر فيه العبارة الواحدة مرات وتكثر فيه الكلمة البارعة والكنايات المحجبة

ـ شهر زاد : أترى شيئا فى ماء هذا الحوض ؟ أليست عيناى أيضا فى صفاء هذا الماء ؟ أتقرأ فيهما سراً من الاسرار ؟

ـ شهريار : تبا للصفاء وكل شيء صاف ... ! لشد ما يخيفنى هذا الماء الصافى ... ! ويل لمن يغرق فى ماء صاف ... !

ـ شهر زاد : ويل لك ياشهريار

ـ شهريار : الصفاء ... ! الصفاء قناعها

ـ شهر زاد . قناع من ؟

ـ شهريار : قناعها هى ، هى ، هى ...

ـ شهر زاد : إنى أخشى عليك يا شهريار

ـ شهر يار : قناعها منسوج من هذا الصفاء . السماء الصافية ، الاعين الصافية ، الماء الصافى ، الهواء ، الفضاء ، كل ماهو صاف ! مابعد الصفاء ؟؟ إن الحجب الكثيفة لأشف من الصفاء !

فلنسجل إذن لمؤلفنا المسرحى النجاح مرة أخرى مغتبطين ، ولنردد قولنا فيه واثقين ، هذا الفتى فنان حتى اطراف أنامله ،

عبد الرحمن صدقى

المصرى الغريب فى مصر

بقية المنشور على صفحة ٥٢٣

لقد م أصحاب حافظ أن يخلد واذكر حافظ فلم يوفقوا . وهذا حافظ يخلد ذكر نفسه ـ ولقد هم المستأثرون بشوقى من رجال السياسة الرسمية أن يخلدوا ذكر شوقى فلم يفلحوا . وسيخلد شوقى يخلد ذكر نفسه . فهل بين المصريين من يهمون بحماية آثار مختار من الضياع وبتخليد ذكر مختار ، وهل هم ان فعلوا موفقون الى مايريدون ؟ أم هل تدخل السياسة فى أمر مختار فتفسده كما أفسدت أمر حافظ وشوقى ؟ سؤال مؤلم ، ما كان ينبغى أن يلقى ، ولكن انتظار جوابه لن يكون طويلا ، ولعله لايضيف ألما الى ألم ، وحزنا الى حزن .

طه حسين

رسالة الربيع

(بقية المنشور على صفحة ٥٢٤)

على المشرق اذا أقبل النيروز جلسوا للناس جلوسا رسمياعاما يتقبلون فيه تهانئهم به وهداياهم . ولما قامت الدولة العباسية أصبح النيروز من أعياد الدولة الرسمية ، وصارله شأن أى شأن ، بل لقد اشتقوا منه عيدا رسمياخاصا بالخلفاء وأسموه « نيروز الخليفة » يقول البيرونى « انه كان يفعل فيه ببغداد من رش الماء وحثو التراب والملاعب ماهو مشهور » وهذا من قبيل النوروز القبطى ، الذى يتحدث عنه المقريزى فى خططه ، ومن قبيل مايفعل فى أعياد المراقع المشهورة فى بعض بلدان اوربا لعهدنا هذا والمعروفة « بالكرنفال »

* * *

وقد افتن شعراء العرب فى وصف الربيع والنيروز وأتوا فى ذلك بالبديع المطرب من الشعر . ولايزال ماقاله الطائيان فى هذا السدد هو المقدم والمحتذى سواء أكان ذلك من الناحية الفلسفية التى ينحيها أبو تمام أم من الناحية الفنية التى ينحيها البحترى

قال ابو تمام يصف الربيع من قصيدة يمدح بها الخليفة المعتصم بالله العباسى : —

أربعنا فى تسع عشرة حجة حقا لهنك للربيع الأزهر
ما كانت الأيام تسلب بهجة لوأن حسن الروض كان يعمر
أو ماترى الأشياء ان هى غيرت سمجت وحسن الأرض حين تغير
ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فانما هى منظر
أضحت تصوغ بطونها الظهورها نورا تكاد له القلوب تنور
من كل زاهرة ترقرق بالندى فكأنها عين اليك تحدر
تبدو ويحجبها الجميم كأنها عذراء تبدو تارة وتخفر
حتى غدت وهداتها ونجادها فتنين فى حلل الربيع تبختر
مصفرة بحمرة فكأنها عصب تيمن فى الوغى وتمضر

وقال البحترى مخاطبا الوزير الفتح بن خاقان :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد ان يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجى أوائل وردكن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه ينث حديثا كان قبل مكتما
ومن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نشرت وشيا منمنما
أحل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين اذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجيء بانفاس الأحبة نعما

وبعد: فان لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة رسالة بليغة تؤديها الى النفوس الشاعرة والفطر السليمة. فليت شعري أية رسالة يحملها الربيع الى ذوي القلوب الواعية منا؟ قابل أيها القارىء بين الشتاء والربيع، بين رقدة الطبيعة ونهضتها، وان شئت، فبين موتها ونشورها. فستجد هذه الدورة على قصر أمدها قد تضمنت حكمة الحياة كلها. والى هذه الحقيقة يشير الربيع فى رسالته الى الناس!

«إن الطبيعة أيها الناس هي الاول والآخر، والأصل والمآل من طياتها تبنون أبدانكم، ومن جمال منظرها وروعة سحرها تمت عواطفكم وألهمتم فنونكم وآدابكم. ومن تصرف سنتها واختلاف مقاديرها يسرا وعسرا، وأملا ويأسا وعافية وبأسا ألهمتم عقائدكم ومللكم. ومن دقة هذه السنن واطرادها استبنتم أصول شرائعكم ونظمكم، ومن الصبر لأحكامها تكونت اخلاقكم فان تكن أجسامكم قد هويت، وعواطفكم قد خبت، وعقائدكم قد وهت، وشرائعكم قد قست، وأخلاقكم قد رثت، فما ذلكم إلا لأنكم عققتم أمكم الحنون، وجفوتم ظئركم الرءوم. فالى الطبيعة أيها الناس، الى الطبيعة فهي وحدها الكفيلة بازاحة علتكم، وجبر مصابكم. وهي القادرة على أن تنشئكم نشأة أخرى، وتبعثكم خلقا جديدا»

كتاب المفصل

فى تاريخ الأدب العربى

للسنتين الرابعة والخامسة من المدارس الثانوية

أتمت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» طبع هذا الكتاب وهو من تأليف لجنة شكلتها وزارة المعارف من الأساتذة احمد الاسكندرى واحمد امين وعلى الجارم وعبد العزيز البشرى واحمد ضيف — ويشمل تاريخ الأدب العربى من العصر الجاهلى الى الآن

وقع فى جزءين مجلدين فى نحو ستمائة وخمسين صفحة وثمن الجزء الأول منهما عشرة قروش والثانى خمسة عشر قرشا ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

اتحـــاد الممثلين

لناقد «الرسالة» الفنى

فى مساء السبت الماضى ابتدأ اتحاد الممثلين، عمله على مسرح الهمبرا برواية «هرنانى» لفكتور هيجو وترجمة الاستاذ خليل مطران، وهى من الروايات الانموذجية التى ترجمت تحت اشراف وزارة المعارف.

وقد ذكرنا فى كلمتنا عن «مديرى الفرق والممثلين» ان اتحادا قويا متينا تالف من بين ممثلى الدرام فى مصر، من الأكفاء الذين شهد لهم الناس بالمقدرة، وتقدموا للجنة تشجيع التمثيل فى وزارة المعارف يعرضون عليها العمل تحت اشرافها وبالشروط التى ترتضيها. وذلك بعد أن فشلت الجهود التى بذلت مع مديرى الفرق، وبعد أن تعنت هؤلاء مع اللجنة وأرادوا أن يملوا عليها شروطهم.

ذكرنا هذا وأهبنا باللجنة أن تنتهز الفرصة السانحة فتمد يدها حازمة قوية لهذا الاتحاد وترحب به ولا تضن عليه بالمساعدة المادية التى يستحقها. ويسرنا ان اللجنة كانت عند حسن ظننا بها، وان كلمتنا وجدت منها آذانا صاغية، فقررت ان تمد يدها إلى هذا الاتحاد فى سخاء وكرم، وأن تعينه على العمل فى خطاه الاولى فوضعت تحت تصرفه بضع مئات من الجنيهات يعد بها الوسائل الضرورية ليبدأ العمل على بركة الله.

واتحاد الممثلين اليوم لا ينقصه الرجال الاكفاء ولا المخرج النابه، ولا المال المعين، ولا يعوزه تعضيد الصحافة وتشجيع الكتاب والنقاد، وبالجملة توفرت له كل وسائل العمل التى تكفل النجاح فالاتحاد يحمل عبئا عظيما ومسؤولية خطيرة أمام هذا البلد وإن الانظار لترعاه من كل مكان تترقب خطاه وتنظر ماذا هو صانع بالامانة التى رضى بحملها وبالثقة التى وضعت فيه وبالامال العريضة التى نيطت به فهو ولاريب الأمل الأخير فى انعاش المسرح فى مصر وانهاضه الى المستوى الجدير به. وانها لتجربة لها ما بعدها، فان فشلت فليس لنا الا ان ننفض الايدى جميعا من المسرح ونتركه للقدر يبعثه حين يشاء، فى جيل غير هذا الجيل، وما نتحدث عنه بعد اليوم ان تحدثنا الا كما نتحدث عن عزيز قضى، أو حلم تبدد